1-الصناعة المعجمية عند العرب

تعريف علم "صناعة المعجم"

يطلق المعجمي محمد رشاد الحمزاوي على صناعة المعجم إسم " المَعجمية" ويعرفها: "بأنها مقاربة تسعى من خلال رؤى نظرية وتطبيقية إلى أن تصور بنية أو بنى المعجم والتطبيق لها"[1].

ثم يعرفها في مكان آخر بقوله: "المَعجمية نعني بها صناعة المعجم من حيث مادته وجمع محتواه ووضع مداخله وترتيبها وضبط نصوصه ومحتوياته وتوضيح وظيفته العلمية والتطبيقية، أداة ووسيلة يستعان بها في ميادين التربوية والتّلقينية والثقافية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية [2].

أمّا حلمي خليل فيطلق عليه " فن صناعة المعجم" أو "علم المعاجم التطبيقي"، ويرى بأنّه يقوم بعدة عمليات تمهيدا لإخراج المعجم ونشره[3].

ويعرّفه على القاسمي بقوله: " أمّا الصناعة المعجمية فتشتمل على خطوات أساسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل وترتيبها طبقا لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر الناتج النهائي، وهذا النتاج النهائي هو المعجم أو القاموس"[4].

---

(1) المعجمية مقدمة نظربة ومطبقة، مصطلحاتها و مفاهيمها، رشاد الحمزاوي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص71

(2) المصدر نفسه، ص275

(3) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل،ط1، دار النهضة العربية بيروت،1997، ص13

(4)علم اللغة وصناعة المعجم، على القاسمي، ط3، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،2004، ص13

أمّا محند الركيك فيقول: "نعتقد أنّ المصطلح الأقرب إلى "Lexicography" هو قاموسية وهي أكثر دلالة ووضوحا من المصطلحات الأخرى، ويرى بأنّه بخلاف علم المعاجم الذي يهتم بالجانب النظري المتعلق بقضايا العجم تنصرف القاموسية Lexicography" إلى دراسة المجال التطبيقي للمعجم، فالقاموسية هي بمثابة تقنية وصناعة تسعى إلى إعداد القواميس، ويرى بأن القاموسية هي ذات مستويين نظري وتطبيقي؛ فالنظري يراد به الأسس والقضايا النظرية المعجمية التي يقدمها عالم المعاجم للقاموسي، التي ينطلق منا هذا الأخير كإطار نظري يستند إليه في مجال إعداد القاموسي والتطبيقي، المقصود به الصناعة أو التقنية التي ينهجها القاموسي لأعداد القواميس[1].

صناعة المعجم عند اللغويين القدامى:

لقد دعت الحاجة إلى تدوين اللغة في معجمات، وذلك لتمكين أبناء المجتمع من حفظها وتعلمها، وحراسة القرآن الكريم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم، وحماية العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه، وصيانة هذه الثروة من الضياع، وقد اهتدى علماء العربية الأوائل إلى وضع معجمات في العربية بعد مرحلة جمعها وروايتها شفهيا، ثم مرحلة التدوين والكتابة في دفاتر ورسائل لغوية، خاصة في النوادر والغريب والأسماء واصفات وكان الحافز الذي يشدهم هو حفظ القرآن الكريم من اللحن والعجمة والضياع وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون

(1) المعجمية التفسيرية التأليفية (مدخل نظري)، محند الركيك، مطبعة فاس، برس الليدو،، فاس المغرب،2000، ص06

"فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من جهل بالقرآن والحديث، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك واملوا فيه الدواوين"[1].

وعدّت صناعة المعجم العربي من أقدم الصناعات المعجمية في اللغات الحية، وأغزرها كمّا وأغناها نوعا، إذ أدرك المعجميون العرب لجانبين مهمين في طبيعة الكلمة التي تشكل المعجم، وهما جانب اللفظ، وجانب المعنى، واختلفوا في أسلوب تناول المادة اللغوية، وطريقة العرض. كما اختلفوا في التردد على مظانها، ومصادر روايتها، مما أفضى إلى ظهور نوعين من المعجمات اللغوية؛ وهما معجمات الألفاظ ومعجمات المعاني.

1. معجمات الألفاظ:

ويراد بها تلك المعجمات التي تضم أكبر قدر من مفردات اللغة مقرونة بشرح وتفسير معانيها، ولها ترتيب خاص، وأولى هذه المعجمات "معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)؛ فإليه يرجع فضل السبق في ميدان التأليف المعجمي[2].

وقد شكّل أول مدرسة معجمية سميت باسمه – مدرسة الخليل– رتبها ترتيبا صوتيا، وإليه يعود الفضل في شق طريق التأليف المعجمي؛ حيث رتيه ترتيبا صوتيا بدأ فيه بالعين منتهيا بالشفتين؛ مما عرف عنه أنه كان يتذوق الحروف بلسانه، فكان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، ووجد العين أدخل

---

(1) المقدمة، ص484

(2) ينظر ،فاتح زيوان، صناعة المعجم عند اللغويين قديما وحديثا، مقال، مجلة اللغة، المجلد 3 العدد 2 السنة 2017، الهند

الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى على آخرها وهو الميم، وقد جاء في مقدمة كتابه– العين –أنّه بدأ بالعين دون سواها من أصوات الحلق لأسباب ذكرها في قوله: "لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنّها مهموسة خفية؛ لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف..." [1].

وقد قسم معجمه إلى 29 حرف كل حرف سمّاه كتابا، وفرّع الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية؛ فباب الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم ، فاعلم أنّها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة"[2].

بعد أن قسم معجمه إلى كتب وفرّع الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية، حشد الكلمات في الأبواب وقلّب اللفظة على أوجهها المختلفة فالثلاثي يعطي ست تقليبات والرباعي أربع وعشرون و الخماسي مائة وعشرون مادة، وبعض هذه المواد مستعملة(لها معان) عند العرب وبعضها الآخر مهملة (ليست لها معان)؛ فيرتب المستعمل ويلغي المهمل ، معتمدا في شروحاته على الشواهد، نثرية أو شعرية مستشهدا بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف، ولم يهمل الاستشهاد بالشعر، بل هومن أكثر الشواهد عنده موسعا مجاله ، فإلى جانب استشهاده بالجاهليين أمثال النابغة وأمرؤ القيس والمخضرمين أمثال الحطيئة وعلي بن أتي طالب، والاسميين أمثال جرير واستشهد

---

(1) مقدمة العين، مج 1، ص45

(2) ينظر المصدر نفسه، ص36 بتصرف

للعباسيين من أمثال بشار بن برد وحفص الأموي؛ وبذلك مد عصر الاستشهاد ليشمل فصحاء الشعراء العباسيين المعروفين بتمكنهم من للغة، وقد خالف جمهور اللغويين الذين حظروا الاستشهاد بشعراء هذا العصر[1].

ولم يسلم معجم العين من النقد من لدن علماء اللغة، من جملتها انّه أهمل مواد كثيرة استدركها عليه المتأخرون، وأنّه فسّر أشياء على غير وجوهها الصحيحة، وكذا إشارته إلى استعمال ألفاظ لم تكن من كلام العرب، بل هي موّلدة أو محدثة، وأنه حشر المهموز إلى جانب المعلول، ولم يميز ما يعتل بالواو عما يعتل بالياء، ويقدم الاسم على الفعل والمزيد على المجرد، وقد عيب على هذا النظام صعوبة البحث بسبب قيامه على المخارج والأبنية والتقليبات[2].

وهذا ماصرّح به من جاء بعده من العلماء فقد ذكر ابن دريد(ت332هـ) في مقدمة معجمه (الجمهرة) قائلا: "وقد ألف بو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعنى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغالب معترف، والمعاند متكلف، وكل بعده له تبع.." ثم نراه يلتمس العذر للخليل بقوله أيضا: "ولكنه رحمه الله ألّف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه، وذكاء فطنته، وحدّة أذهان أهل دهره"[3].

وعلى الرغم من هذه الملاحات على معجم العين إلا أنّ هذا لم يقلل من قيمة المعجم؛ وهذا ما جعل بعض العلماء الذين جاؤوا من بعد الخليل يتبعون نهجه في تأليف كتبهم؛ فقد إتّبع نهجه كلا من: الأزهري(أبو منصور محمد بن أحمدت282هـ) في كتابه "تهذيب اللغة" والصاحب بن

---

(1) ينظر ،فاتح زيوان، صناعة المعجم عند اللغويين قديما وحديثا، مقال،

(2) ينظر ،فاتح زيوان، صناعة المعجم عند اللغويين قديما وحديثا، مقال،

(3) ينظر ،فاتح زيوان، صناعة المعجم عند اللغويين قديما وحديثا، مقال،

عبّاد (ت385هـ) في معجمه المحيط، وأبي علي القالي (ت356هـ) في معجمه "البارع"[1]..

ثم انتشرت مبادئ مدرسة ثانية وهي مدرسة الألفبائية – وهي التي تعتمد في ترتيب مداخلها على النظام الألفبائي المعروف. وكان فضل السبق في هذا إلى أبي عمرو الشيباني(ت206هـ) في كتابه "الجيم"؛ الذي علّق عليه أبو الطيب اللغوي(ت351هـ)، قائلا: (وأمّا كتاب الجيم فلا رواية له، لأن أبا عمرو بخل به على النّاس فلم يقرأه عليه أحد[2].

وأخذ به ابن دريد (321هـ) في "الجمهرة"، كما أخذ به ابن فارس(ت395هـ) في "مقاييس اللغة"، و"مجمل اللغة" والزمخشري (ت538هـ)،وفي "أساس البلاغة" ، وغيرهم...

وعلى الرّغم من أنّ هذه الطريقة كانت اسهل من طريقة الترتيب الصوتي، إلاّ أنّها لم تسلم من النّقد أيضا وقد ذهب بعض النّقاد إلى أنّ كتاب الجمهرة هو نسخة من كتاب العين غير أنّ ابن دريد غيّره. وأنّ هذه الطريقة صعبة في طريقة تناولها لبعض المفردات الشيء الذي أدى إلى صعوبة الاستفادة منها.

ممّا دفع ببعض علماء العربية إلى التفكير في طريقة جديدة يستفيد منها على الخصوص الشعراء في قافيتهم والخطباء والكتّاب في سجعهم؛ ونظرا لأنّ البندنيجي كان شاعرا يسترزق بشعره، فقد فكّر في طريقة لترتيب القوافي؛ فألف كتابا مرتبا وفق أواخر الكلمات سمّاه التقفية في اللغة، ثم تلاه إبراهيم الفرابي في ديوان الأدب والجوهري في صحاح العربية وعلى الرغم مما يقال في أنّ الجوهري هو رائد المدرسة وبعضهم يزعم بأن الريادة

---

(1) ينظر ،فاتح زيوان، صناعة المعجم عند اللغويين قديما وحديثا، مقال،

(2) ينظر ،المصدر نفسه.

لإبراهيم الفرابي في ديوان الأدب إلاّ أنهذه المزاعم يخالفها الصواب و الحقيقة ليست كذلك للأسباب التالية:

أولاهما أنّ البندنيجي كان شاعرا والقافية أداة من أدوات الصناعة الشعرية، وثانيهما العامل الزمني فقد ألفّ البندنيجي معجمه التقفية في اللغة مرتبا ترتيبا وقف أواخر الكلمات قبل صحاح الجوهري وقبل الفارابي. وقد إتّبع هذا النهج في ترتيب المداخل كل من ابن منظور(ت711هـ) في معجمه لسان العرب والفيروز أبادي(ت817هـ) في معجمه القاموس المحيط، والزبيدي (ت1205هـ) في معجمه تاج العروس.

فالجوهري وضع كتابه على ثمانية وعشرين يابا؛ أي على عدد الحروف وجعل لكل باب فصلا؛ أي على عدد الحروف
أيضا، بحيث جعل الباب قافية الكلمة ، وجعل الفص صدر الكلمة، وراعى بينهما الحرف الحشو مرتبا أيضا من حرف الألف حتى الياء؛ وبذلك وضع مفردات اللغة: "أما بعد فإني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرّف الله تعالى منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه وتهذيب، لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا وكل باب منها ثمانية وعشرين فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول" [1]

وقد تبعه في ذلك الإمام الصغاني في معجماته المشهورات "التكملة والذيل والصلة"، و"مجمع البحرين"، "والعباب"، والمعجمات المعاصرة منها "المعجم الوسيط"، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

---

(1) الصحاح، ج1، ص3 من المقدمة

2. معجمات المعاني:

- مدرسة أبي عبيد

وهي التي تنسب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ)؛ وهي التي يتم الترتيب فيها على حسب الموضوعات؛ وذلك بعقد أبواب وفصول للمسميات التي تتشابه في المعنى أو تتقارب وقد جعل لكل موضوع كتاب، ككتاب "الخيل"، وكتاب "اللبن" وكتاب "العسل"، وكتاب "الحشرات" وأشهر هذه الكتب معجم "الغريب المصنف"؛ الذي نال إعجاب العلماء قال عنه القفطي: "وقد سبق أكثر مصنفاته، فمن ذلك (الغريب المصنف)، وهو من أجلّ كتبه في اللغة، فإنه احتذى فيه كتاب النضر بن شميل المازني، الذي يسميه كتاب(الصفات) وبدأ فيه بخلق الإنسان، ثمّ بخلق الفرس، ثمّ بالابل، فذكر صنفا بعد صنف حتى أتى على جميع ذلك..." [1].

وقد قسم أبو عبيد معجمه على ما يقرب من ثلاثين كتابا، تمثل الموضوعات الرئيسية، مثل "كتاب النساء"، وكتاب خلق الإنسان، وباب نعوت دمع العين، وباب أسماء النفس، .... وأهم ما يلاحظ على الغريب المصنف انه يفتقد إلى نظام ترتيب الأبواب، وكل المصنفات التي سارت على منهجه[2].

وقد تبعه ابن سيده في معجمه "المخصص" حيث أشار في مقدمة كتابه إلى أنّه قد اقتدى بمن سبقه و استفاد من علومهم فقال: "وكتابنا هذا قد أحتوى على جميع هذه الفنون، وكل فن منها فيه مستوعب تام، محتو لما انتهى إلينا من الألفاظ المقولة عليه، عام"[3].

---

(1) نقلا عن محمد آل ياسين ، المرجع السابق، ص292

(2) ينظر صناعة المعجم قديما وحديثا، فاتح زيوان ، بتصرف

(3) نقلا عن محمد آل ياسين ، المرجع السابق، ص292

مما سبق تبين لنا أن المدارس المعجمية تختلف فيما بينها من حيث طريقة الترتيب, فالأولى تبنت الترتيب الصوتي وكان رائدها الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه "العين" وقد تبعه في ذلك الأزهري في "تهذيب اللغة" والصاحب بن عباد في "المحيط" والقالي في "البارع".

وأما المدرسة الثانية فقد رتبت المداخل ترتيبا الفبائيا تبناه ابن دريد في معجم "الجمهرة", بينما تبنت المرسة الثالثة الترتيب الفبائي وفق أواخر الكلمات كان رائدها البنديخي في معجمه "التقفية في اللغة", على اختلاف بينه وبين الجوهري في معجم "الصحاح" وأمّا المدرسة الرابعة فترتيبها الفبائيا معاصرا, تزعم هذه المدرسة الزمخشري في معجمه "أساس البلاغة" ثم تبعه فيما بعد المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وبقية المعاجم المعاصرة.

كان همّ العرب الأوحد في بداية التدوين والتأليف المعجمي جمع الفصيح من اللغة في قراطيس خدمة للقرآن العظيم، وفي غياب معايير منهجية موّحدة تجلى لذي عينين أنّ كل مؤلف ابتدع وسيلة خاصة به. فمعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) الذي يمثل غرّة التأليف المعجمي عند العرب قاطبة، ابتداء من أواخر القرن الثاني الهجري، لم يكن يتيما في الوجود، فقد تبعته مؤلفات معجمية في غريبي القرآن والحديث، والأضداد، والمثلثات، وصفات الأشياء [1]؛ لهذا سبقت

(1) دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط،1987م، ص9 بتصرف

الصناعة المعجمية عند العرب تنظيرها[1]، إذ كان قصدهم هو الجمع والتأليف.

دوافع التأليف المعجمي عند العرب:

إن المعجم وعاء اللغة وحافظها من اللحن والتصحيف، وهو المرجع الفصل عند التجاكم إلى أصيلها من غبره، وهو الهوية التي تميز المبتذل، والوحشي، والغريب من الجزل الفصيح الصحيح فهو كما عرفه على القاسمي في مؤلفه علم اللغة وصناعة المعجم، كتاب يحتوي على كلمات منتقاة، ترتب ترتيبا هجائيا، مع شرح معانيها ومعلومات أخرى ذات علاقة بها، سواء أعطيت تلك الشروح باللغة ذاتها أم بلغة أخرى[2]، فدوافع العرب إلى التأليف المعجمي ثلاثة[3]:

1. الدافع الديني؛ وذلك حفاظا على لغة القرآن الكريم من اللحن والخطأ في الفهم؛ لأنها المركبة الوحيدة التي تنقل المكلّف إلى أغوار الخطاب القرآني، ليستبين أحكامه ويترجمها سلوكا في حياته.
2. الدافع الاجتماعي: الأعاجم الذين أسلموا واقتنعوا بالسلام منهج حياة، والسبيل الأقوم لنيل السعادة في الدارين، والذين اتخذوا لغة الضاد لغة تخاطب
3. وتواصل فاجتنبوا لكنتهم ورطانتهم.

---

(1) مناهج التأليف المعجمي عند العرب، معاجم المعاني والمفردات، عبد الكريم مجاهد مرداوي، دار الثقافة، عمان، الأردن، ط1،2010م، ص24 بتصرف

(2) علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ط2، 1991م، ص3

(3) معجم محوسب لمعاني الأفعال الثلاثية المجردة في اللغة العربية، رسالة ماجستير، إيمان صبحي دلول، 2014/2013م، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص24.

4. الدافع الثقافي: هو ذلك النضج والوعي الذي وصل إليهما الروّاة واللغويون مما تولد لديهم حرص دقيق على جمع مفردات اللغة، وتقوية جانبها الأصيل وتنقيتها من الدخيل، فانتهجوا التأليف المعجمي منهجا وإجراء راقيين.